جُون جولزوورزي

الأول والأخيـــــر

مسرحية من ثلاثة مشاهد

الشخصيات:

كيث دارانت	محام
لاري دارانت	أخوه
واندا	

المشهد الأول: مكتب كيث

المشهد الثاني: حجرة واندا

المشهد الثالث: حجرة واندا أيضًا

ثلاثون ساعة بين المشهد الأول والمشهد الثاني.

شهران بين المشهد الثاني والمشهد الثالث.

المشهد الأول

الساعة السادسة في مساء شهر نوفمبر في مكتب كيث دارانت. وهو عبارة عن حجرة كبيرة ذات ستائر داكنة، يسقط الضوء من مصباح قراءة على سجاد تركي، وعلى كتب موضوعة بجانب كرسي وثير، وعلى أدوات قهوة ذهبية وزرقاء عميقة تضفي على المكان جو الواحة. أمام موقد خشبي، يجلس كيث دارانت مرتديًا معطفًا بنيًّا ناعمًا قديمًا وخُفًّا أحمر تركيًّا؛ ذو وجه عبوس أملس، حليق الذقن والشعر الذي يميل لونه إلى اللون الرمادي، ويختلط به المشيب. حاجباه داكنان متعرجان.

(يفتح الباب ذو الستائر الكائن في الجزء المعتم للمكتب خلفه بهدوء، حتى أنه لم يستيقظ. يدخل لاري دارانت. يقف ونصف جسده يختفي خلف الستارة المتدلية أمام الباب. ذو جسد نحيل، ووجه متعب طويل يبرز عظام الفكين، يقف ساكنًا يطلق تنهدات لاهثة. يتحرك كيث في مقعدة)

كيث: مَن هناك؟

لاري: (بصوت مختنق) أنا.. لاري...

كيث: (نصف مستيقظ) ادخل. كنتُ نائمًا. (لا يدير رأسه. ينظر بعينين نائمتين إلى الموقد)

(يمكن أن يُسمع صوت أنفاس لاري).

(يدير رأسه قليلاً) حسنًا، لاري، ما بك؟

(يدخل لاري محتكًا بالجدار، كما لو كان يلتمس دعمه بعيدًا عن شعاع المصباح، محملقًا)

هل أنت مريض؟

(يقف لاري ساكنًا مرةً أخرى، ويطلق تنهيدة عميقة).

كيث: (ينهض مديرًا ظهره للموقد، يحملق في أخيه) ما بك يا رجل (فجأةً كأنما تفجرت الوحشية في أعصابه) هل ارتكبت جريمة قتل، فجعلتك تقف هناك كالسمكة؟

لاري: (بهمس) نعم، يا كيث.

كيث: (باشمئزاز قوي) يا إلهي: الخمر مرةً أخرى! (بصوت يتبدل بخوف مفاجئ) ما الذي أتى بك إلى هنا؟ لقد قلت لك... إذا لم تكن أخي...! تقدم حتى أراك بوضوح. ماذا دهاك يا لاري؟

(يترك لاري الجدار، وهو يترنح ويغوص في مقعد في دائرة الضوء)

لاري: إنها الحقيقة.

(يخطو كيث إلى الأمام بسرعة، ويحدق في عيني أخيه من عَلٍ، باحثًا عن أجوبة للتساؤلات المرعبة التي دارت في خلده، وكأنما يعرفه بالكاد)

كيث: (بصوت خفيض غاضب ومرتبك) يا إلهي ما هذا الهراء؟ (يذهب بسرعة إلى الباب، ويسحب الستارة ليتأكد من أنه مغلق، ثم

يعود إلى لاري الذي جثم أمام الموقد) لاري، تقدم! كن متعاونًا ولا تكن مبالغًا. ماذا تعني حقًّا؟

لاري: (بانفعال حاد) إنها الحقيقة! لقد قتلتُ رجلاً.

كيث: (يستجمع قواة بفتور) اهدأ!

(يرفع لاري يديه ويعتصرهما).

(يسترد وعيه تمامًا) لماذا تأتي إلى هنا وتقول لي ذلك؟

لاري: أقول لمن إذن يا كيث؟ أتيتُ لأسأل ماذا أفعل.. أُسلِّم نفسي، أم ماذا؟

كيث: متى... متى... ماذا...؟

لاري: ليلة أمس.

كيث: يا إلهي. كيف؟ أين؟ من الأفضل أن تحكي لي من البداية. هنا. اشرب تلك القهوة، نشِّط ذاكرتك.

(يصب ويعطيه فنجانا من القهوة، فيشربها لاري).

لاري: رأسي! نعم! إنها مثل هذه، كيث.. هناك فتاة.

كيث: امرأة! دائمًا امرأة. معك! حسنًا؟

لاري: فتاة بولندية مات أبوها منذ أن كانت في السادسة عشرة وتركها وحيدة. وهناك رجلٌ غريب الأطوار يعيش في نفس البيت، تزوجها.. أو تظاهر بذلك. إنها جميلة بحق يا كيث. تركها وهي حامل، لكنها فقدت الجنين، وعانت من الجوع. ثم تكفل بها صديقٌ آخر وعاشت معه عامين، حتى ظهر ذلك الحيوان مرةً أخرى وأجبرها على العودة إليه. تعوَّد أن يطعمها صنوف العذاب. تركها مرةً أخرى عندما... قابلتُها أنا كانت تتعلق بقشة (يتوقف عن الكلام. يتحسس شفتيه. ينظر إلى كيث، ويستمر في

الكلام بجرأة) لم أقابل امرأةً جميلةً أو صادقة مثلها. أُقسم، امرأة. تبلغ الآن العشرين من عمرها فقط! عندما قابلتها ليلة أمس، عندما عرف هذا الشيطان أنها خرجت مرةً أخرى، جاء من أجلي... حيوان شرير مستأسد. انظر! (يلمس إصابة داكنة على جبهته) قبضتُ على حنجرته القبيحة، وعندما تركتها... (يتوقف عن الكلام وتسقط يداه)

كيث: نعم؟

لاري: (بصوت مختنق) مات يا كيث. لم أكن أعرف مطلقًا أنها كانت مرتبطه به لتـ... لتساعدني (يعتصر يديه مرةً أخرى)

كيث: (بصوت جاف وحاد) ماذا فعلت حينها؟

لاري: جلسنا... جلسنا بالقرب منه وقتًا طويلاً.

كيث: حسنًا؟

لاري: ثم حملته على ظهري إلى الشارع في ركن بعيد تحت قنطرة.

كيث: كم تبعد؟

لاري: حوالي خمسين ياردة.

كيث: هل رآك أحد؟

كيث: لا

كيث: وكم كانت الساعة؟

لاري: الثالثة صباحًا.

كيث: وماذا فعلت بعد ذلك؟

لاري: رجعت إليها.

كيث: لماذا رجعت؟

لاري: لقد كانت وحيدةً وخائفة... وأنا كذلك يا كيث.

كيث: أين تسكن؟

لاري: اثنان وأربعون ميدان بورو، سوهو.

كيث: وأين توجد تلك القنطرة.

لاري: تقاطع ممر جلوف.

كيث: يا إلهي، يا للهول، لقد قرأت الحادث في جريدة هذا الصباح. كانوا يتحدثون عنها في المحكمة (يلتقط الجريدة المسائية من مقعده، ويتصفحها) الحادث منشور هنا أيضا. "تم العثور على جثة رجل هذا الصباح تحت قنطرة في تقاطع جلوف. وتبين- من الفحص الظاهري- اشتباه في علامات خنق نتيجة اشتباك عنيف. ومن الغريب أن الجثة قد تم السطو عليها". يا إلهي (يستدير فجأة) هل قرأت تلك الصحيفة وحلمت بالحادث. هل تدرك ذلك يا لاري؟ حلمت بها.

لاري: (بحزن) يا ليتني كنت أحلم يا كيث!

(يحرك كيث يديه مثلما يفعل أخوه تمامًا)

كيث: هل سرقت شيئًا من الجثة؟

لاري: (يسحب مظروفًا من جيبه) لقد سقط هذا المظروف بينما كنا نتصارع.

كيث: (ينتزع المظروف ويقرأه) باتريك والن... هل هذا اسمه؟ فندق سايمون، شارع فارير، لندن. (ينحني، يضعه في النار) لا!... هذا يجعلني.. (ينحني ليلتقطه. ويلقيه على الارض، وفجأةً يسحقه بقدمه) ما الذي أتى بك إلى هنا لتخبرني؟ ألا تعرف أنني... ذو حيثية كبيرة في مجال القضاء؟

لاري: (ببساطة) نعم. يجب أن تعرف ما دار هناك. لم أكن أقصد أن أقتله يا كيث. أحب الفتاة. أحب الفتاه. فماذا أفعل؟

كيث: الحب!

لاري: (باندفاع) الحب!... هذا الحيوان القذر! مليون كائن يموتون كل يوم، ولا يستحق أحدٌ منهم الموت مثله. لكن الأحداث تمر الآن. (يتحسس قلبه) إنها ورطة كبيرة يا كيث، ساعدني إذا كنت تستطيع يا حكيم. ربما لم أكن طيبًا، لكنني لم أؤذ ذبابة من قبل. (يدفن وجهه في راحتيه)

كيث: إهدأ يا لاري! دعنا نفكر.. تقول إنه لم يرك أحد؟

لاري: لقد كان مكانًا مظلمًا في ليله حالكة السواد.

كيث: متى تركت الفتاه للمرة الثانية؟

لاري: حوالى السابعة.

كيث: أين ذهبت؟

لاري: إلى غرفتي.

كيث: في شارع فتزروي؟

لاري: نعم.

كيث: وماذا فعلت منذ ذلك الحين؟

لاري: جلست أفكر.. هناك.

كيث: ولم تخرج؟

لاري: لا.

كيث: ولم تر الفتاه؟

(يهز لاري رأسه)

هل ستتخلى عنك؟